

صفحة من تاريخ أفغانستان المعاصر

لمناسبة حوادثها الأخيرة

للاستاذ محمد عبدالله عنان

— ٢ —

الموقف بعد ، لأن الثورة لبثت تضطرم في مختلف الأنحاء . وكان نادر خان كما قدمنا من معارضي سياسة التجديد الأوربي التي كان لها شأن في اضرار الثورة ، فأعلن مرة أخرى أنه سيعمل على احترام أحكام الشريعة الإسلامية وتقاليده البلاد وحمايتها من كل انتهاك وعبث ؛ وأخذت الثورة تهدأ شيئاً فشيئاً ، ونادر خان يصرح أنه لا يبغي العرش وأنه يتركه لرجل الذي تختاره أفغانستان . على أنه لم يأت ثمة شك في نتيجة هذا التطور ، فقد انتهى نادر خان بارتقاء العرش بعد ذلك بأيام قلائل (١٥ أكتوبر) على يد جمعية وطنية من الزعماء نادت به ملكاً وأيدته معظم العناصر القوية في البلاد . وقد ولد السردار محمد نادر خان في سنة ١٨٨٣ من والدين ينتمى كلاهما إلى أصل ملكي . وظهر منذ فتوته بالبراعة الحربية وتولى منذ سنة ١٩١٩ قيادة حرب الاستقلال الأفغاني في صف الملك أمان الله ، ولبث مدى أعوام شخصية بارزة في حياة أفغانستان العامة ؛ ولكنه أي التعاون مع أمان الله مذ رأى تطرفه واندفاعه . وتولى نادر خان الحكم في غمار من الصعاب ، ولكنه أبدى منتهى الاعتدال والكفاية والحزم ؛ وألغى جميع الإجراءات المتطرفة التي اتخذها أمان الله ؛ ورد أحكام الشريعة كما كانت ، ونظم علائق أفغانستان مع الدول ؛ وكانت بريطانيا العظمى أول الدول التي اعترفت بحكومتها ؛ واهتم نادر خان باصلاح الجيش وتقويته ، ولبث يعمل في متابعة وجلد حتى عادت السكينة إلى البلاد واستقر الأمر في نصابه نوعاً . ولكن بعض القبائل القوية ولا سيما قبيلة الشوارى لبثت بمنتهى عترة بموقفها من الاستقلال عن كل سلطة . ولم تمض أشهر قلائل حتى عادت الثورة والقلاقل العنيفة تهدد سلام البلاد وأمنها ؛ فماد نادر خان إلى الكفاح ؛ وكانت تعترضه صعاب فادحة مالية وغيرها . واستمرت الثورة تجبو وتضطرم في أفغانستان مدى الأربعة أعوام التي حكمها نادر خان . بيد أنها كانت ثورات محلية ؛ ولم تتخذ ذلك العنف الذي تحول معه مصائر أفغانستان إلى وجهة جديدة ؛ وكان نادر خان دائماً رجل الموقف ؛ وبذل نادر خان جهوداً صادقة لاصلاح نظم الحكم والادارة ، وجرى في الحكم على نظام الوزارة الحديث ، وأنشأ مجلساً تشريعياً (برلماناً) يقوم بمهمة التشريع بإشرافه ، ولزم جانب الاعتدال في سياسة الاصلاح ، ورد المرأة الأفغانية إلى حجابها ومنزلها ، ولم يحاول أن يغير بالعنف شيئاً من تقاليد البلاد الدينية أو الاجتماعية ؛

غادر أمان الله ميدان الحوادث في أفغانستان في ربيع سنة ١٩٢٩ كما قدمنا ، وفر مع زوجته وأسرته مبتلاً بما يدخر الأمراء الطغاة لمثل هذا اليوم من مال مقتصب ؛ ولكن الملك الجديد ناشأ السفا أو حبيب الله لم يستطع أن يسيطر سلطانه على غير كابول وضواحيها ، ولبثت أفغانستان تضطرم بالحرب الأهلية ، وزعماء القبائل القوية ولا سيما الشوارى وغلزة يتطلع كل منهم إلى الملك . عندئذ ظهر في ميدان الحوادث رجل لم يكن له في بدء الفتنة من الأمر شيء ، وكان يقيم منذ حين بعيداً عن وطنه في معزل عن الحوادث . ذلك الرجل هو الجنرال نادر خان . وكان من قبل وزيراً للحرية وقائداً عاماً للجيش في حكومة الملك أمان الله . ولكنه لما رأى اندفاع أمان الله في سياسته الطائفية ، استقال من منصبه وعين سفيراً لأفغانستان في باريس ، وأبعد بذلك الوسيلة عن طريق أمان الله . فلما نشبت الثورة وتفاقم خطر الحرب الأهلية لبى نادر خان داعي الوطن وعاد إلى أفغانستان ليحاول إخماد الفتنة وإنقاذ أفغانستان من عواقب ذلك النزاع الخطر ، ولكنه ألقى الموقف مستجيلاً ؛ فاعتزم أن يخوض المعركة وأن يحاول سحق ذلك الزعيم المتغلب الذي أثار هذا الضرام ، وجعل من أفغانستان مسرحاً للجريمة والقوضى ؛ فحشد أسلحته وفاوض زعماء القبائل القوية . ومن المعقول أيضاً أن تكون السياسة الإنجليزية قد أدت مهمتها التاريخية في هذا النزاع ، وأمدت نادر خان بالمعاونة المطلوبة لأنها رأت فيه زعيماً مستقبلياً متزنًا ، ولأنها تحرص دائماً أن يستتب الأمر في أفغانستان لئلا يثر التعاون مع بريطانيا العظمى . وعلى أي حال فقد استطاع نادر خان أن يشق طريقه ، وأن يهزم قوات المتغلب والشوارى في عدة معارك ؛ ثم زحف أخيراً على كابول ودخلها في أكتوبر سنة ١٩٢٩ ، وقبض على حبيب الله وأمر به فأعدم رمياً بالرصاص ؛ وقبض على زمام السلطة في كابول . بيد أنه لم يكن سيد

وسار بافغانستان في طريق التقدم والتوطد رغم القلاقل التي كانت تترى سبيله من آن لآخر، وعادت السياسة البريطانية فونقت علاقتها مع افغانستان، وقامت السفارة البريطانية في كابل مرة أخرى، وطلبت المعاهدة المعقودة بين البلدين منذ سنة ١٩٢١. وبالجملة فقد بدأت افغانستان على يد هذا الامير القوي الحازم مرحلة من الاستقرار والتقدم كان مقدرا ان تطول وان تترخى النتائج لولم يذهب نادرخان لحافة ضحية الاغتيال السياسي.

لم يكن مقتل نادر شاه مفاجأة كما قد رأينا ان عرش افغانستان يقوم على بركان مضطرب من المنافسة الدموية، ورأينا كيف يذهب معظم الجالسين عليه ضحية الغدر والغيلة. ولم تتضح العوامل والظروف الحقيقية التي ذهب ضحيتها نادر شاه بعد وضوحها كافيا يسبح عليها لون التاريخ الحق. ولكننا نستطيع ان تتبع هذه العوامل في معترك البغضاء السياسية والشخصية التي تترى منذ بعيد بنادر شاه واسرته، واليك خلاصة ما يقال في اصل الجريمة واسبابها كان غلام نبي بين زعماء افغانستان المقربين الى الملك امان الله ومن اكبر معاونيه. وكان يشغل منصب سفير افغانستان في باريس ايام حكم الملك امان الله، ويشغل أخوه غلام صادق منصب سفير افغانستان في برلين. وهو من أسرة «تشركي» القوية، فلما سقط امان الله وتولى نادرخان، أقيل غلام نبي وعين مكانه في سفارة باريس السردار شاه والي خان اخو نادر شاه، ثم أقيل أخوه غلام صادق بعد ذلك من سفارة برلين وعين مكانه اخ للملك أيضا هو السردار محمد عزيز خان.

ولبت غلام نبي حينما في اوربا ثم عاد الى افغانستان بشفاعة اخي الملك والي خان وبعد وعدم ملكي بالامان. واستخدمه نادر شاه في مهام عسكرية سياسية في بعض الاقاليم، ولكن غلام نبي كان يضطرب باطماع خفية، وكان يبت دعوة الثورة ضد نادر شاه خفية ويدعو لصديقه السابق امان الله، ووقف نادر شاه على طرف من مساعيه فاستدعاه الى كابل واستدرجه الى مجلس عقده في قصره بضاحية «الارج»، التي تضم القصور والقلاع الملكية، ولما ظهر نبي خان أمامه أبرز له بعض الوثائق التي تثبت خيائته، فحاول غلام نبي الجدل والمكابرة، ولكن نادر شاه كان قد أعد العدة للتخلص منه وفي الحال ظهر عدة جنود مدججين بالسلاح، وانقضوا عليه وقتلوه.

خفقا امام عيني الملك. وأخني نبأ موته حتى عقد نادر شاه في اليوم التالي محكمة من الرؤساء اجتمعت سرا وقضت باعدام غلام نبي جزاء خيائته، ثم نشرنا اعدامه بعد ذلك في الجريدة الرسمية، وعلبت اسره وتشركي، أسرة غلام نبي القوية - بمصرع زعيمها، وانقسمت بالانتقام.

وكان ذلك في الثامن من نوفمبر سنة ١٩٣٣، أي لعام بالضبط قبل مقتل نادر شاه. وعلى أثر ذلك قبض على كثيرين من أسرة غلام نبي وأتباعه. وكان من قبض عليهم بسبب الحادث عامل جنان من أتباع غلام نبي وولده، وهو طالب في السابعة عشرة من عمره يدعى عبد الخالق، فاعتقل الفتى أياما ثم أطلق سراحه بشفاعة وزير المعارف لانه طالب مجد متفوق في الألعاب الرياضية ولم تلحقه أية شبهة. وكان الفتى عبد الخالق هذا هو قاتل نادر شاه في المستقبل أقسمت أسرة «تشركي» بالانتقام وعملت له، وظهرت البوادر الأولى لانتقامها الميت في يولييه سنة ١٩٣٣، في برلين حيث قتل السردار محمد عزيز خان أخو الملك نادر شاه وسفير افغانستان في برلين، قتله طالب أفغاني من حزب «أفغان الفتاة» الذي ينصر سياسة الملك امان الله، واتجهت الرب يومئذ الى غلام صادق أخني غلام نبي الذي كان يشغل من قبل منصب سفير افغانستان في برلين وعرضت أسرة غلام نبي في كابل بسبب هذا الحادث إلى مطاردات واضطهادات جديدة، وازداد الملك نادر شاه ريبا فيها وحذرا منها، وازدادت الأسرة ظمأ إلى الانتقام.

وكان الفتى عبد الخالق أثناء ذلك متصلا بأسرة غلام نبي التي يعمل لديها أبوه، وكانت الأسرة تبت الى كل من يتصل بها روح البغض لنادر شاه والنقمة عليه. وهنا تروى قصة غرام وانتقام خلاصتها أن الفتى عبد الخالق هام بحب سيدة رائعة الحسن من سيدات أسرة غلام نبي، وانها شجعت به وبادله الهوى، وأعدت عليه كل عطفها وحنانها، وكانت أبواب القصر تفتح لعبد الخالق صباح مساء، ويلتف حوله سيدات الأسرة جميعا، ويبدرن في نفسه الحيمة الهائمة ضرام البغض والنقمة، وكانت صاحبه الحسناء تملأ قلبه كل حسه وتفكيره، وتصور له المستقبل بديعا فياض بالآمال الكيرة، فاذا قتل نادر شاه وعاد امان الله، فان أسرة تشركي ترمود إلى سابق مجدها وتفوزها، ويندو عبد الخالق وأسرته من ذوى النفوذ والغنى.

على كثيرين من اسرة غلام نبي رجلا ولساء واطفالا ، وقبض على كثيرين من زملاء عبد الخالق في المدرسة وعلى بعض المدرسين ، بل وعلى وزير المعارف ؛ وهبت على العاصمة الافغانية ريج من الروح والرهبة ؛ وما زالت اقية السجن الملكي غاصة بالمقروض عليهم ولا يعلم حتى اليوم من رهن منهم ومن هو باق على قيد الحياة

وملك أفغانستان الجديد جلالة ظاهر شاه في العشرين من عمره وهو ولد نادر خان الوحيد ، ولكن له أربع شقيقات هن بالتعاقب : الأميرة زهرة وهي في السابعة عشرة ، والأميرة زينب وهي في الخامسة عشرة ، والأميرة سلطانة وهي في الرابعة عشرة والأميرة بلفيس وهي في الثانية عشرة ، وقد تلقى ظاهر شاه بعض تربيته في فرنسا ، وأقام هنالك نحو ثمانية أعوام ، وهو ذو آراء وتربية عصرية ويجيد اللغة الفرنسية فضلا عن الفارسية والوردية (الهندية) . وقد كان منذ حين ، اثناء حياة والده يتولى بعض الوزارات والمهام الرسمية طبقا لتقاليد أمراء الأسرة الملكية ؛ وهو بعد الملك غازي ، ملك العراق أحدث ملوك الشرق والغرب سنا

وقد مضى إلى اليوم زهاء أربعة أشهر مذ تولى ظاهر شاه عرش أفغانستان دون أن نسمع بمحدث اضطرابات او قلاقل جديدة ، والظاهر أن حكومة الملك الجديد تقبض على ناصية الموقف ؛ وأن بوادر الثورة التي كانت على أهبة الانفجار قد أخذت أو اخفت الى حين وأن الشعب الافغاني يؤيد القابضين اليوم على زمامه . وهكذا انحطم آمان المتطلعين الى العرش وفي مقدمتهم الملك السابق أمان الله مرة أخرى

ونحن نغبط إذ نرى أفغانستان تجوز أزماتها الخطيرة بمثل هذه السرعة ، ونرجو أن نظل هذه الشقيقة الشرقية الناجية متمتعة بالاستقرار والكيانة ، بعيدة عن كيد السياسة الاجنبية ومطامعها ؟

محمد عبد الله عنان

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة بجمهرات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد

ولم تحص أشهر قلائل حتى فضج المشروع ، ولم يبق على عبد الخالق الا أن يتحين فرصة التنفيذ . وسنحت هذه الفرصة في اليوم الثامن من نوفمبر ، وكان قد تقرر أن تقام في هذا اليوم مباراة في الكرة بين فريق المدرسة الفرنسية الافغانية ، وفريق المدرسة الألمانية الافغانية التي ينتمي عبد الخالق إلى طلبتها ويعمل عضواً في فريقها الرياضي . كذلك تقرر أن يرأس الملك نادر شاه الحفلة ويتولى توزيع الجوائز على الفائزين ، وأقيمت المباراة في إحدى ساحات الحدائق الملكية في « أريج » ، في عصر هذا اليوم . وقصد الملك نادر شاه مع ولده ظاهر شاه وعدة من الأكارب إلى الحديقة الملكية لمشاهدة المباراة ، وفي أثناء سيره خرج من صف الطابة المجاور له طالب يرتدى ثياب اللعب ، واقرب منه بسرعة ورفع يده وأطلق ثلاث رصاصات متواليات ، فوضع الملك يده على قلبه وسقط صريعا على الاثر ، وكان هذا الطالب هو عبد الخالق . ووقع الحادث بسرعة مذهلة ، وذهب دوى الرصاص في الضجيج والهول . فلم يفتن له أحد . وساد المهرج وقبض على المعتدى وتمت المأساة .

٥٥٥

هكذا تروى العوامل والظروف التي دبر فيها مقتل المغفور له نادر شاه ، وهكذا توصف الصورة التي تمت بها الجريمة . وقد كان للحادث دوى عميق ؛ وكان مدبرو الجريمة يؤملون على ما يظهر أن يحدث موت نادر شاه اضطرابا وقلاقل يتنهزها خصوم الملك القليل لأضرار الثورة ؛ وكانت بوادر الثورة تبدو في الجنوب منذ حين ؛ ولكن السردار محمود وزير الحربية وأصغر أخوة الملك القليل أبدى منتهى الخزم والسرعة في تلافى هذا الاثر ، فلم تحص ساعة واحدة على مقتل نادر شاه حتى كان قد استدعى الوزراء والقادة والزعماء الى القصر ، ونادى في الحال بظاهر شاه ولد الملك نادر شاه الوحيد ملكا على أفغانستان مكان ابيه ؛ وحياء الزعماء والقادة والضباط في الحال بلقب الجلالة . وقد أبدى السردار محمود في ذلك تضحية وحكمة سياسية بعيدة المدى ، لانه من حق أخوة الملك طبقا لقانون العرش الافغاني ان يرثوا العرش ؛ ولكن السردار محمود أدرك في الحال ما قد تترده مسألة العرش بين أخوة الملك الثلاثة وبين المتطلعين الى العرش من الاضطراب الخطر على سلام البلاد . وجاء رفع ظاهر شاه الى العرش حاسما لكل خلاف وجدل

وفي الحال زج القتي القاتل الى قلعة القصر ، ووجد معا على ما يقال مصور القادة المستاء التي حرضته فقبض عليها ، وقبض